المشرق

الكليّات الكاثوليكيّة في المعمور

نظر للاب لويس رتزفال اليسوعيّ

هي المدارس تُنشأ في أنحاء المعمور فتحيي البلاد بالمعارف وترفع العباد عن الدقعاء. فيعرف المرء انهُ بعقلهِ خصوصاً انسان ليس بجسمهِ الذي لا يفرزهُ عن العجماء. على انَّ تلك المدارس مهما اتَّسع فيها نطاق العلوم وراجت لسواق المعارف فانَّها لا تأتي بالثمار المقصودة ما لم يُحيِ الدين تلك العلوم البشريَّة ويوقف الانسان على مصدر كل علم واصل كل حكمة سبحانهُ وتعالى الذي دعا نفسهُ في الكتاب الكريم (١ملوك ٢ : ٣) ربَّ العلوم. وان فُصل الدين عن العلم انتفخ بهِ الانسان على قول الرسول المصطفى (١ كور ٨ : ١) واصبح علمهُ لهُ آفةً بمثابة سيفٍ يلعب بهِ الجاهل فيُسيء استعمالهُ ويجرح بهِ نفسهُ. ولهذا السبب قد اعتادت الشعوب ان تعهد الى ارباب الدين تثقيف عقول الاحداث لعلمهم « بانَّ شفتَي الكاهن تحفظان العلم » كما يقول النبي ملاخي (٢ : ٧) وعلى الاخصّ لكي يُعنى الكهنة بترويض النفس على الآداب بينما يهذّبون العقل ويزينونهُ بالمعارف

وان ألقينا النظر الى تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة وجدنا عنايتها منذ اجيالها الاولى مصروفةً الى تنظيم المدارس وقتل الجهل في عقول ذويها وذلك حتى في ايَّام الاضطهادات والضغط على النصرانية. ولنا على ذلك برهان جليل في مدرسة الاسكندريَّة حيث اشتهر اولئك الاساتذة الكبار پنتان واقليمس الاسكندري واوريجانس المعلّم. وما بقي من آثارهم حتى اليوم دليل قاطع على مجاراتهم لمشاهير زمانهم

وما نالت الكنيسة حرّيتها بانتصار قسطنطين الكبير حتى نهضت بهمّة عظيمة لنشر العلوم في كل انحاء المسكونة. فبفضلها أنشئت تلك المدارس الكبرى في حواضر البلاد التي قامت بدلًا من مدارس اليونان والرومان وأدّت للعلوم خدماً مشكورة لولا انّ امم البرابرة زحفت كسيل جحاف على جهات اوربّة وافنت آثار تلك المعاهد فقضي على الكنيسة ان تعود الى العمل فتُحيي ما دثر من رسوم العلوم فكانت الرهبانيّات الكاثوليكيّة لاسيما الرهبانيّات البندكتيّة اكبر مساعد على ادراك هذه الغاية الجليلة ولولاها لفقد معظم ما اتّصل بنا من آثار قدماء الفلاسفة وائمّة العلماء.

امّا البلاد الشرقيّة فانّها اشدّ ما كانت مدينة للكنيسة في حفظ كنوزها العلميّة فكانت كبار مدنها كصروح للمعارف يقصدها كل من يبغي الاستقاء من مواردها. فانّ مدارس القسطنطينيّة وفلسطين والشام ومصر كانت كلّها تزدحم فيها الطلبة وبُقيت على ازدهارها الى ظهور الاسلام. ومثلها مدارس بلاد الجزيرة وما بين النهرين وعلى الاخصّ مدرستا الرها ونصيبين اللتان اصبحتا في الشرق كمنارتين ساطعتين اكتحل بانوارهما الوفٌ من الدارسين. وقد وُجدت في هذه السنين الاخيرة رسومها وقوانين دروسهما التي تدلُّ على سعة فضل رؤسائهما. وقد جرت على تلك الآثار الطيّبة مدارس اخرى متعدّدة في جهات غيرها حتى تخوم العجم وانحاء الارمن وحدود الهند

ولما خمدت حركة الامم الفاتحة التي انحدرت من بلاد الشمال وتقسّمت بينها مملكة الرومان في اطراف اوربّة ورجعت مياه السلام الى مجاريها أسرعت الكنيسة الى تشييد صروح العلوم ورفع منارها رغمًا عما وجدتهُ في قلوب تلك الطوائف المستجدّة التي كان جلُّ همّها التهوُّر في معامع الوغى وايقاد سعير الحروب. ولا يسعنا هنا ان نصف المدارس التي نالت شهرة منذ القرن السابع الى الحادي عشر وتولّى انشاءها الاحبار الرومانيّون وارباب الدين في ايطالية وفرنسة واسبانية وانكلترّة والمانية. فانّ لمدارس تلك البلاد تاريخًا لا نستطيع في الحاضر الخوض فيهِ لسعة نطاقهِ وانّما نقول بالاجمال انّ العلماء الذين شرّفوا تلك الاعصار انّما تخرّجوا في المدارس التي كانت بجوار كل دير من أديار الرهبان او في حمى الكنائس. وقد خلّفوا لنا من التآليف عددًا وافرًا فمنها ما اخذتهُ يد الضياع ومنها ما نجا من تيّار الزمان فيشهد لاصحابها بسموّ المدارك وتوقّد الاذهان فتكاد لا تجد بابًا من ابواب المعارف البشريّة الّا طرقوهُ وان لم يبلغوا شأو الذين

اتوا من بعدهم فتوفّرت لديهم الوسائل واستفادوا من ذخائر علوم الاقدمين التي انقذتها الكنيسة من مخالب الدهر (اطلب مقالة المشرق ٦ : ١٠٥ — ٥٤ في الكنيسة والعلوم الفلكية)

على انّ تلك المدارس مع عظم شأنها لم تَفِ بحاجة العموم الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم رغبةً في طلب المعارف فسعى ارباب الدين بوضع الكليّات يعلّمون فيها مجمل العلوم المعروفة في تلك الازمنة . فاتّفق الاحبار الرومانيّون وملوك الدول على انشاء تلك المعاهد على اصول ثابتة واوقفوا عليها الاوقاف الواسعة للقيام بنفقات اساتذتها فكانت كليّة بولونية في شمالي ايطالية اوّل مدرسة جمعت شروط الكليّات . فأُنشئت سنة ١١١١ . وقد غلبتها شهرةً بعدها في اواخر القرن الثاني عشر كليّة باريس التي أضحت في مقدّمة الكليّات بأساتذتها وحسن نظامها وسعة المتخرّجين فيها . وعلى مثالها أُنشئت كليّة اوكسفرد في انكلترّة ثم تعدّدت الكليّات حتى عمّت كل اطراف الممالك بل توفّرت في المملكة الواحدة حتى بلغت العشرات فانّ فرنسة وحدها قبل الثورة الكبيرة كانت تحتوي على عشرين كليّة . وكان لليسوعيين كليّات عديدة في بلاد شتّى يتزاحم فيها الطلبة لحسن تدبيرها وشهرة اساتذتها

امّا نظام تلك الكليّات وما كان يُلقى فيها من الدروس فكانت تختلف مع البلاد لكنّ العلوم التي كانت تُدرس عادةً في تلك الكليّات كانت تدخل في احد هذه الفروع الخمسة اي الآداب (البيان والخطابة والفلسفة) والعلوم الطبيعيّة والفقه الديني والمدني والطب واللاهوت . وكان الدارسون في الغالب يجتمعون في احياء خاصّة بهم على اختلاف جنسيّاتهم واذا انهوا دروسهم قدّموا الامتحانات عنها فنالوا الشهادة عليها

وبقيت تلك الكليّات قروناً عديدة تؤدي للمعارف اجلّ الخدم الّا انّ البعض منها بدسائس المبتدعين سمت شيئاً فشيئاً بان تستقلّ من نظارة الكنيسة وتدبّر امورها على هواها فدخلها روح الاستبداد وجاهرت بمناصبة ارباب الدين فلمّا قامت الثورة في اواخر القرن الثامن عشر وقلبت اوربّة ظهرًا لبطن ذهبت ايضاً بكثير من تلك الكليّات وقام بدلًا منها في الدول المستحدثة كليّات أخرى مبنيّة على المبادئ الجديدة النافية الدين او المضيّقة عليه فلا تجعل لتعليمه الّا المقام الثانوي

فرأى الكاثوليك في هذه الحالة اجحافاً بحقوقهم ونهضوا في عدّة بلاد ليتلافوا

الامر وينشئوا الكليّات الحرّة التي يجاهرون فيها الدين مقاومة اللائق بشأنه فيتعلّم فيها الطلبة العلوم الدينيّة الكاثوليكيّة كعلم الكلام واللاهوت وعلم الحق القانوني والعلوم الكتابيّة والتاريخ الكنسي ثم العلوم الدنيويّة ايضاً كالفلسفة والطبّ والحقّ المدني والآداب واللغات الشرقيّة والعلوم الطبيعيّة دون ان يُدَسّ في تعليمها شيءٌ من الاضاليل التي اعتادت المدارس العصريّة ان تنفثها بحجّة العلم والعلم منها مناط الثريّا

ولم يخفَ على الكاثوليك ما تقتضيه تلك الكليّات من النفقات الطائلة والضحايا المتنوّعة فلم يثبط ذلك عزائمهم وشمّروا عن ساعد الجدّ وافرغوا كنائن المجهود حتى اخرجوا مقاصدهم الى حيّز الفعل وانشأوا نحو ثلاثين مدرسة جامعة في بلاد مختلفة تراها اليوم رغماً عن مزاحمة الحكومات وتوفّر ماليّاتها والوسائل التي لديها زاهرةً نامية لا ينقصها شيءٌ من اسباب الرقي والتقدّم. وها نحن نسرّح الابصار في تلك الكليّات ليعرف قرّاؤنا ما للدين من القوّة في المشاريع العظمى وكم للايمان من الفعل العجيب اذا ما قام العمل. ونتّخذ لهذا النظر قائداً احد مشاهير كتبة الفرنسويين السيّد بودريليار رئيس الكليّة الكاثوليكيّة في باريس فانّهُ لمّا حضر اليوبيل الالفي الذي احتفلت به كليّة لوفان في العام الماضي وضع كتاباً خصوصيًّا وصف فيهِ الكليّات الكاثوليكيّة المنشأة في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين في فرنسة والخارج (١

*

اوّل كليّة كاثوليكيّة أزهرت في القرن التاسع عشر هي الكليّة الغريغوريّة المعروفة ايضاً بالمدرسة الرومانيّة كان اقامها البابا غريغوريوس الثالث عشر في القرن السادس عشر ووكل ادارتها الى الآباء اليسوعيين فبقيت في ايديهم مائتي سنة عامرةً زاهرةً وسقطت بالغاء رهبانيّتهم. فلما بعث البابا بيوس السابع الرهبانيّة اليسوعيّة من قبرها في العشر الثاني من القرن التاسع عشر عادت الى ادارة تلك الكليّة وبلّغتها اوج الفخر بتعليمها وفيها علّم الطبيعيّات والهيئة رجال يُعَدُّون من اكبر رجال العصر كالاب ڤيكو (Vico) والاب پيانشياني (Pianciani) والاب سكي (Secchi) الذي

---

١) وهذا هو اسم الكتاب: Mgr. Baudrillart : Les Universités Catholiques de France et de l'Etranger. *Paris, Poussielgue,* 1909, pp. 120.

مرّت في المشرق (٦ : ٦٦١) ترجمتهُ . ولمّا ضبطت الحكومة الايطاليّة سنة ١٨٧٠ تلك المدرسة اقام اليسوعيّون كليّةً حرّةً في محلٍّ آخر واضطرّوا الى ان يدرّسوا فيها العلوم الدينية العليا فقط ومع تلك المعاكسات تُعدّ هذه المدرسة اليوم من اعظم الكليات الكاثوليكية يبلغ عدد تلامذتها ١٥٠٠ طالب يقصدونها من كل اقطار العالم

وفي العام الماضي انشأ بيوس العاشر ذلك المكتب الكتابي المنوط بتعليم الكتاب المقدّس وبكلّ العلوم اللاحقة بهِ وانتدب الى تدبيرهِ ايضاً الآباء اليسوعيين فيُعتَبر هذا المكتب منذ الآن بمثابة كُليّة جديدة تُبنى عليها اطيب الآمال

والكليّة الثانية التي أُنشئت في اوربّة بعد تجديد الكليّة الرومانية انما كانت كُليّة لوفان من اعمال بلجيكة . هذه المدينة ايضاً اشتهرت في القرون السالفة بكُليّتها التي ازهرت مدّة اربعمائة سنة واندثرت رسومها بعد الثورة الفرنساويّة وانضمام البلاد الى هولندة . فلمّا تحرّرت من ربقة البروتستانت اسرع الحزب الكاثوليكي الى انشاء كليّة كاثوليكية محضة في لوفان سنة ١٨٣٤ . ولتذكار هذا العمل الجليل اقام الكاثوليك البلجيكيّون في شهر ايّار من السنة المنصرمة اعياداً شهيّة دعوا اليها كل الكليّات فاجاب الى دعوتهم ارباب تلك النوادي العلمية حتى البروتستانت ولم يردّ الدعوة غير الكُليّة الباريسية المعروفة بروحها العدائي للدين

وكان لتلك الحفلات من الرونق والأبّهة والعظمة ما ألجأ اعداء الكنيسة انفسهم الى الاقرار بانّ للكثلكة مقاماً رفيعاً لا يجاريها فيهِ احد . حتى انّ جريدة ليناج (Gazette de Liége) الكاثوليكية لم تجد اوضح دليل الى شرف الكثلكة من جمع اقوال اعداء الدين واقرارهم بمناخر الكنيسة مرغومين

وقد ترأس تلك الحفلات الكردينال مرسيه (Mercier) رئيس اساقفة مالين وهو احد المتخرّجين في كُليّة لوفان فخطب الخطب الدينية المتحمّسة التي رقصت لها قلوب الحضور فاستقبلوها باصوات البهجة والاستحسان وكان القاصد الرسولي الوفد من الحبر الاعظم و١٤ اسقفاً يحفّون بالكردينال ويزيدون ذلك المشهد ابهى رونق . وحضر تلك المواسم كل اساقفة بلجيكة وكان يتصدّر في جملة الحضور ثمانية من وزراء الدولة البلجيكية بيزّهم الرسمية واوسمتهم الشرفية وكأبهم من طلبة الكليّة النائلين شهادتها . وممّن

زيّنوا تلك الحفلات بحضورهم نوّاب نحو الف جمعيّة او شركة أنشأها رجالٌ من متخرّجي كُلّيّة لوڤان اقبلت اليها وفودهم وكأنهم شاراتهم ورياتهم الخاصّة . وكان للرتب الدينيّة تلك الاعياد التقدُّم على سواها وعُقدت جلسات عموميّة بحثوا فيها عن احوال الكليّة وتاريخها ومفاخرها وتوسيع نطاقها

والحق يقال انّ كلية لوڤان قد حقّقت كل امـاني الكاثوليك فانشأت فروعاً لتدويس كل العلوم الدينيّة والادبيّة والاجتماعيّة والعلميّة والفنيّة مع درس اللغـات الغربيّة والشرقية لم يُفتها شيءٌ من المعارف العصريّة والاكتشافات الحديثة وكل ذلك دون ان تتحمّل الامّة شيئاً من الضرائب كما ترى في كليات الحكومة الأخرى وقد بلغ في السنة الاخيرة عدد الدراسين فيهـا ٢٣٠٠ يقوم بتدريسهم ١٢٠ استاذاً من انتة العلماء . وكانت جمعت قائمة مؤلّفاتهم في كل ضروب المعارف البشريّة فبلغت خمسة مجلّدات ضخمة أُضيف اليها اعمال التلامذة المتخرّجين على ايديهم . امّا مشاهير الرجال الذين نالوا شهادة تلك الكليّة فيبلغ الالوف بينهم ١٤ مطراناً او اسقفاً وعدد لا يُحصى من الكهنة والرهبان والعلمانيين والكتبة والاقتصاديين والصنـاعيين والمهندسين الذين بفضلهم استحقّ وطنهم مع صغره ان ينظم بين كبار الدول

ولو اردنا ذكر بعض الذين تفتخر بهم الآداب في ايّامنا من اساتذة لوڤان لاتّسع بنا المجال وكفانا القول بانّ اللغات الشرقيّة اصابت في لوڤان ما حقّ لها من الاعتبـار بهمّة بعض المستشرقين البلجيكيين كالسيّدين لامي (Lamy) وابلوس (Abbeloos) للسريانيّة وفليكس ناف (F. Nève) للارمنيّة والسيّد دي هرلي (de Harley) للغة السنسكريتية والاب فُرجه (Forget) للعربية وغيرهم كثيرين

وفي آخر يوم تلك الحفلات جرى الكاثوليك في موكب عظيم بكل أبهّة ونظام في شوارع المدينة ومرّوا امام رؤساء الدين فما انتهت الحفلة الّا بعد ثلاث ساعات كاملة عدّها الحضور انتصاراً باهراً للكثلكة والدين

*

وان انتقلنا من بلجيكة الى فرنسة وجدنا فيها آثاراً طيّبة من العلوم تنبئ باقدام الفرنسويين الكاثوليك في كل المشاريع الخطيرة . كانت الدولة بعد الثورة الفرنسويّة قد احتكرت التعليم بايعاز الفرمسون فلم تسمح لاهل الدين ان يشربوا قدحاً من كوثره

الّا مصيراً بايدي الموسومين بتهمة الحكومة والمجارين لها في مبادئها الفاسدة

ولمّا جرت الحرب السبعينية بين فرنسة والمانية شعرت الدولة عند حلول تلك الضربة بيمينه تعالى فأرخت مدّةً عن خناق الكاثوليك وسمحت لهم سنة ١٨٧٥ بانشاء كلّيات مستقلّة على نفقاتهم الخاصّة. فنهض الفرنسويّون على مألوف اريحيّتهم وتبرّعوا بالمال الوافر ففتحوا خمس كلّيات كاثوليكية جهّزوهـا بما تستدعيه العلوم العصريّة من اللوازم وهي باريس وليل وليون وانجه وطولوزا بلغ اليوم معدّل تلامذة كل واحدة منها ٤٤٠ طالباً وهـذا لعمري قليل بالنسبة الى كلّية لوفان الّا انّهُ في ذاته كثير لانّ الحكومة استرجعت شيئاً من الامتيازات التي منحتها اوّلاً ثم لا تزال تضايق عليها خوفاً من المزاحمة. وفي كل هذه الكلّيات رجال اختصاصيّون يعشون في مقدّمة علماء بلادهم في كل شُعبة من شُعَب العلوم العصريّة لو حاولنا اثبات اسمائهم فقط لما كفت عدّة صفحـات فمنهم الكتابيّون واللاهوتيّون كفيكورو (Vigouroux) وفيليون (Fillion) ومنجنو (Mangenot) والاب اليسوعي داليس (d'Alès) ومنهم الفلاسفـة النطاسيون كديدير (J. Didiot) والسيد اليـاً بلان (Mgr. E. Blanc) ومنهم الاثريّون كاوليس شفاليه (U. Chevalier) والسيّد دوشان (Mgr. Duchesne) ومنهم المؤرّخون كالسيّد بودريلار (Mgr. Baudrillart) والاب پيزاني (Pisani) ومنهم علماء الرياضيّات والفلك والطبيعيّات والجيولوجيات كالاب جوبار اليسوعي (P. Joubert) والسيو لومان (G. Lemoine) والسيو برانلي (Branly) الشهير باكتشافات التلغراف اللاسلكي وقيّد العلوم لاياران (Lapparent) وعشرات غيرهم . وبينهم المستشرقون كالسيد غرافين (Mgr. Graffin) والاب نو (Nau) والبارون كارا دي ڤو (Carra de Vaux) وكلّهم مصنّفات عديدة لو جُمعت لتألّف منها مكتبة واسعة . وقد تكلّف الكاثوليك على هذه الكليّات فوق العشرين مليوناً لكنّ الله قد كلّل اتعابهم بالنجاح بعدد لا يُحصى من الفقهاء والاطباء والعلماء الذين يشرّفون اليوم دينهم بمعارفهم

وان اعتبرنا بلاد النمسة وجدنا انّ دولتها لم تفصل رسميّاً الدين عن التعليم ولذلك جعلت في كليّاتها فروعاً للّاهوت والفلسفة وما يتعلّق بهما وهي التي تعين اساتذة تلك الفروع وتدفع لهم رواتبهم . ومن ثم لا نذكر تلك الكليّات كمدارس كاثوليكية

محضة . ثم انَّ تلك الكليَّات قديمة باقية على نظامها القديم . ومما أُنشئ فيها في القرن السابق كليَّة انسبرك (Innsbruck) في مقاطعة التيرول حيث يُعلِّم الآباء اليسوعيُّون العلوم الدينيَّة والفلسفيَّة واللغات الشرقية فنالت بهم تلك الكليَّة شهرة واسعة

وما قولهُ عن نظام كليَّات النمسة يصحُّ قولهُ في كليَّات المانية المتعدِّدة التي هي كذلك تحت سيطرة الحكومة تنوط بها في كل امورها . ولاجل هذا لا يمكننا ان ننظم هذه الكليَّات في جملة الكليَّات الكاثوليكية لانك تجد في كلية واحدة معلِّمين معادين للدين مع غيرهم من انصاره المخلصين

ومن الكليَّات الكاثوليكية المستقلَّة التي أُنشئت منذ عهد قريب كلية فريبورغ من اعمال سويسرة تولَّى انشاءها رجلٌ همام من أُسرة كاثوليكية عريقة في القدم تشرَّف اجدادُها بخدمة الطوباري كانيزيوس اليسوعي رسول سويسرة نزيد به المسيو بيثون (Python) مدير المعارف في مقاطعة فريبورغ الكاثوليكية ونائب إياله في شورى وطنه . فهذا لمَّا رأى انَّ للبروتستانت في سويسرة ثلاث كليات وما يصيب الكاثوليك بسببها من الضرر الادبي لم يألُ جهدًا حتى جمع المال اللازم لانشاء كلية كاثوليكية مبنية على اصول الدين الكاثوليكي دون ان ينقصها شيءٌ من اسباب النجاح والترقي في الآداب العصريَّة . وقد فتح منشئ هذه المدرسة ابوابها لاساتذة مختلفين منهم فرنسويون ومنهم المانيُّون يعلِّم كل منهم بلغته كما انَّهُ لم يخصَّ التعليم بناشئة بلاده بل قبَّل الطلبة الذين يقصدون فريبورغ من كل البلاد وهذه السنة العشرون لانشاء تلك الكليَّة . ولمَّا اجتزنا مدينة فريبورغ قبل اربع سنين سُرِرنا ايَّ سرور بزيارة تلك المدرسة ورأينا في نجاحها ما تجاوز ظنَّنا فيها . ونظام هذه الكلية على مثال كليات المانية والنمسة اما معلِّمو القسم الديني فيها فهم الآباء الدومنيكان الذين ينشرون مجلَّة لاهوتية بالفرنسويَّة

وكانت اسبانية الى هذا العهد الاخير خالية من كلية كاثوليكية . واملَّ الكاثوليك لثقتهم بحكومتهم ما كانوا ليخافوا على ايمانهم من خطر لأنَّ ارباب الامر كانوا في الغالب يراعون قوانين الدين الَّا انَّ الروح العصري اخذ يفشو بينهم بمساعي الماسونية فاراد الكاثوليك ان يصونوا كنز ايمانهم من آفات الكفر ومنذ سنتين اجتمع اعيان

الكاثوليك ونخبة الاكليروس الرهباني والعالمي واتفقوا على انشاء كلية كاثوليكية محضة يدرسون فيها العلوم الدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية فعيّنوا لذلك خمسة عشر استاذًا من وجوه العلماء بينهم راهبان يسوعي واوغسطيني ثم باشروا تعليمهم بكل نشاط وفتحوا مع ذلك ثلاث مختبرات اودعوها كل ما يُساعد الدارسين على اتقان دروسهم ومعرفة الحركة العلمية في العالم. والامل معقود على نجاح هذه الكلية فيقوى اصحابها على ردّ جماح اهل الكفر ومعرّة الالحاد

وكما ابى الاسبانيّون الكاثوليك ان تُحرم بلادهم من كلية لا يشوبها سوء المعتقد كذلك ارادت ارلندة الكاثوليكية ان تجعل لابنائها حمىً يلتجئون اليه لدرس العلوم الجديدة دون ان يستنشقوا ريح الاضاليل الوبئية التي تهبّ عواصفها في جوارهم بواسطة الشيع البروتستانية المتغلبة على الممالك البريطانية ويصونوا وديعة ايمانهم الذي لاجله جاهدوا الجهاد الحسن مدّة ثلاثة اجيال بنيف. ثم انّ الكاثوليك الايرلنديين كانوا يتخرّجون سابقًا في مدرسة دوبلين المعروفة بمدرسة الثالوث (Trinity college) الّا انّ تلك المدرسة ما كانت لتفي بحاجات التمدّن العصري فسعوا غير مرّة ليخرجوا هذا الفكر الى حيز الوجود وحتى الآن كانت الاحوال تحول دون مرامهم حتى تمكّنوا مؤخرًا بعد اتفاقهم مع الحكومة الانكليزيّة ان ينشئوا في دوبلين كلية كاثوليكية ينال فيها الكاثوليك كل امتيازات المدارس الكلية كبقية الانكليز دون ان يُضطرّوا الى حضور دروس معلمين يبخسون حقوق مذهبهم

*

دعنا الآن نجتاز بحر الاوقيانوس ونستقري العالم الجديد فانّنا نرى هناك دلائل لامعة على همّة الكاثوليك لرفع منار الاداب وتعزيز العلوم في مطاوي القرن المنصرم

واوّل ما نلقاهُ في الشمال كليتا كيبك ومنتريال في بلاد كاندا وكلتاهما تُعرف باسم كليّة لاڤال لانهما ثمرة مساعي مديري مدرسة لاڤال الاكليريكيّة التي انشأها سنة ١٦٦٢ الطيّب الذكر السيّد لاڤال. ففي السنة ١٨٥٢ رأى الاكليروس الكاثوليكي واعيان الكاثوليك في تلك البلاد انّ مواطنيهم محتاجون الى مدرسة عُليا يتخرّج فيها شبّانهم ويجارون بها كليّات بقيّة البلاد فأقيمت اوّلًا كليّة كيبك وبعد ٢٥ سنة رأوا انّ منتريال اصبحت كعاصمة البلاد بنموّها فانشأوا فيها كليّة ثانية ألحقوها بكليّة

كيبك . والكليتان في ترقٍّ متواصل يبلغ عدد معلّميهما ١٩١ ويربي عدد الطلبة على الالف . اما العلوم التي يتلقّنها الطلبة فالآداب الخاصة والفنون الجميلة والفقه والطبّ والفلسفة والعلوم الدينيّة العليا واصول الصنائع . والكليتان في كاندا كعضوين حريزين في وجه المعادين للدين الكاثوليكي وشاهدين جليلين على انّ العلم والدين شقيقان يجريان معاً دون اختلاف ولا نزاع لخير العباد وترقي البلاد

ولن انحدرنا من كاندا الى الولايات المتّحدة وجدنا للكاثوليك ثلاث كليات يفتخر بها الاميركيّون وتستقي منها الناشئة موارد العلوم العليا صافيةً لم يرنّقها روح الكفر . فالاولى كلية سان لويس في بلاد ميسُوري انشأها اليسوعيون بعد عودتهم الى اميركة بزمن قليل سنة ١٨٢٩ ولا تزال حتى اليوم في نظارتهم يقصدها الطلبة المتخرّجون في ٩ مدارس اكثرها تحت تدبيرهم . وبعض هذه المدارس ترقّت حتى اضحت شبه كليات فعُرفت بهذا الاسم ككلية كريتون (Cricghton University) وكليّة ماركت (Marquette University) . ويناهز عدد طلبة كلية سان لويس الالف طالب منهم ٢٥٠ للطبّ يعلمهم فروع هذا الفنّ ٥٤ استاذًا او مرشدًا

والكليّة الثانية في مدينة جرجتَون (Georgetown) يديرها الآباء اليسوعيون الذين انشأوها سنة ١٨٥٤ وهم يعلمون فيها ٦٠٠ طالب العلوم النظريّة والرياضيّة والفلكيّات والطبّ والفقه . وقد وقفنا في السنة ١٩٠٤ على مذكّرة يوبيلهم الحسيني فاخذنا العجب مما هم عليه من التقدُّم في العلوم المستحدثة لم يفُتهم شيءٌ من الاختراعات الحديثة لتهذيب طلبتهم

اما الكلية الثالثة فهي احدث نشأةً لكنّها اشمل لفائدة العموم في اميركة الشماليّة ألا وهي كلية واشنغتون (Washington) كان ظهورها سنة ١٨٨٤ بهمّة اساقفة الولايات المتّحدة عضدهم في ذلك قومٌ من المحسنين فجهّزوا الكليّة على طرز اكبر الكليّات وادرُّوا عليها الاوقاف الواسعة فلم ينقصها شيءٌ من اسباب النجاح وقد منحها البابا لاون الثالث عشر امتيازات خاصّة في السنة ١٨٨٩ . وهي لا تزال حتى اليوم في تحسين متواصل لكنّ طلبتها قليلون حتى الآن لا يزيدون على ١٢٠

وفي اميركة الجنوبيّة كليّة واحدة كاثوليكيّة مركزها في سنتياغو من اعمال شيلي انشأها سنة ١٨٩٥ رئيس اساقفة تلك البلاد السيّد كازانوفا (Mgr Casanova)

تجمع بين العلوم الثانويّة والعلوم العليا الدينيّة والمدنيّة وهي على ساقد من النجاح يقدّم طلبتها امتحانهم بازاء فاحصين تعيّنهم الحكومة المحليّة فينالون الشهادات المؤذنة بصلاحيتهم

ولم ينس السيّد بودريليار الذي اخذنا عنهُ كثيرًا من المعلومات السابقة كليّتنا الكاثوليكية في بيروت وهي الكلية الوحيدة الكاثوليكية في آسية بل أحسن في ذكر تاريخها ونظامها وترقّيها وما ادّتهُ من الخدم للممالك العثمانيّة والبلاد المجاورة. لاسيما بعد انشاء مدرستها الطبيّة بموازرة الدولة الفرنسويّة. فتشكر السيد الكاتب على لطفهِ ونثني على صدق وصفهِ لم يخلّ في شيءٍ منهُ الّا في قولهِ (ص ٥٦) انّ اساتذة الطبّ يعيّنهم وزير المعارف في فرنسة والصواب انّ الذي يعيّنهم هو الاب كفتليار المدرسة بصادقة وزير الخارجية المذكور. وهنا كان يمكننا ان نتّسع في تعريف كليّتنا الّا اننا نكتفي بما سبق الشرق وكتبهُ في سنتهِ الرابعة سنة ١٩٠١ عن يوبيل الكليّة الفضي (ص ١ — ١١) وفي السنة الحادية عشرة (ص ٣٤١ — ٣٥٤) عن العرس الفضي لدكتب الطبي فليُراجع الفصلان

وفي الختام لا يسعنا الّا ان نثني على همّة الكنيسة الكاثوليكية وابنائها الغيورين الذين علموا كما علم اسلافهم انّ العلم الصحيح احسن مقصد للدين لا يمكنهُ الّا ان يزيدهُ تأصّلًا في القلوب السليمة ولذلك ما انفوا أن يضحّوا في سبيلهِ النفس والنفيس ليشيدوا في جهات العمور تلك الصروح الشاهقة التي اودعوها صفوة المعارف البشريّة وايابها العلوم العصريّة ليكون الجميع على بصيرة بان الكنيسة الكاثوليكية لا تنال من ترقّي المعارف سوى الفخر والعزّ لان الله الذي انشأها هو إله العلوم كما هو إله الدين فباعتزاز العلم يعتزّ الدين الصحيح كما ان الدين الصحيح ينشر معهُ حيثما حلّ لواء العلوم البشريّة مهما تقوّل بعض المتشدّقين الذين يردّدون كالببغاء مزاعم اعداء الدين اثار الله عقولهم وهداهم الى سواء السبيل